الجبال عن حملها، حتى إنّ أحدهم ليمكث ساكنًا لا يستطيع أن يتحرَّك من مكانه من فرط القصف والحصار والجراح، ثمَّ ينهضُ فجأةً متحدِّيًا كلَّ الأخطار، ليفعل فعلاً يُربك العدو ويُرعبه، ويُغيِّرُ مسار المعركة، ويُثبت أنَّ الإيمان إذا استقرَّ في القلب لا تحبسه الأسلاك، ولا تمنعه الجراح.

كم هي عظيمةٌ تلك اللحظات التي يُيسِّر الله تعالى فيها لهؤلاء المجاهدين كميناً مُوفَّقاً أو رشقةً صاروخية تقلب المعادلات، وتُدخِل الرعب إلى قلوب المعتدين، وتُربك حساباتهم، وتُؤكِّد أنَّ زمام الفعل بيد الله، يؤتيه من يشاء، ويمنعه عمن يشاء.

وتتعجب كيف يَخرُجُ أحدُهم من تحت أنقاض بيته المُدمَّر، وجراحُه لم تندمل بعد، وجوعُه لم يُسَد، ليقدِّم روحه فداءً لدينه وأمته في أحلك الظروف وأشد اللحظات؟!، وكيف ينهض حين يظنُّ الناس أنَّه لا أحد سيقوم؟!، أتذكُر يوم الخندق، حين وقف رسول الله ﷺ يعرض على أصحابه مهمةً صعبةً جداً، وفي ظروفٍ مرعبة، فقال: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ القَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ»[1]، فانظر إليهم كيف تُخيِّم رهبة الموقف عليهم، فلا يتقدَّم أحدٌ حتى يندب النبي ﷺ حذيفة، وهو يعلم أنَّ ما يدعوهم إليه ميدانٌ للموت، ولكنَّه أيضًا معراجٌ إلى الجنة، واليوم، نرى هؤلاء المجاهدين يتسابقون إلى ميادين أشدَّ خطرًا، في زمنٍ لا نبيَّ فيه، ولكنّهم ساروا على سُنَّته، واقتفوا أثره، وآمنوا بما جاءهم به من الكتاب والحكمة، حتى صاروا وإن تأخر الزمان صورةً متجددةً من الجيل الأول.

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 1788.